انفرادات القارئ يعقوب الحضرمي في الأفعال وأثرها في تذوّق بلاغة النظم

د. سامية حرب* د. ابتهاج راضي**

تاريخ وصول البحث: 2020/6/10م **تاريخ قبول البحث: 2021/1/6م**

ملخص

هذه دراسة لجملة من انفرادات القارئ يعقوب الحضرمي في الأفعال وأثرها في بلاغة النظم، حيث اشتملت الدراسة على نبذة مختصرة عن يعقوب الحضرمي وراوييه -رحمهم الله تعالى-، ثم تناولت بعض انفرادات الحضرمي فيما يتعلق بالأفعال، وأثر تلك الانفرادات في بلاغة السياق والنظم الذي وردت فيها. وخلصت الدراسة إلى أن قراءات القرآن تعطي معناها في سياقه ونظمه بما يبهر العقول والقلوب دون أن تتضاد مع القراءات الأخرى أو تقصر عن بلاغتها فكل كلمة في مكانها هي الأبلغ.

وختمت الدراسة ببعض النتائج والتوصيات التي يجدر بأهل العلم أن يتمثلوها في تتبع دلائل إعجاز القرآن الكريم.

The Hadrami solitary words in verbs and their Impact on the Rhetoric syntax

Abstract

This is a study of a series of solitarian verbs of the reciter Yaqub Hadrami in the Quranic words and their impact on the rhetoric of syntax.

This study included a brief overview of Yaqub Hadrami and his narrators (may Allah have mercy on them). The study concluded that recitations of the Quran gives its meaning in the context and systems, which dazzles minds and hearts without contradicting with other recitations or falls short of eloquence, each word in its place is the most rhetorical.

The study concluded with some conclusions and recommendations that scholars should be considered in the inimitability of the Holy Quran.

* أستاذ مساعد، وزارة الأوقاف - quranicrecitation@hotmail.com

** أستاذ مشارك، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

المقدمة.

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وأرسل رسوله محمدا ε داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. والصلاة والسلام على خير من بلغ رسالة السماء إلى الأرض حتى عبق شذاها من أقصى البلاد إلى أقصاها وعمر نور الله أرضه فاللهم صلِ وسلم وبارك على من أقرأته فلم ينسَ وقضيت إليه وحيك محمد ε وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فهذه دراسة لجملة من انفرادات القارئ يعقوب الحضرمي في الأفعال وأثرها في بلاغة النظم.

دأب أهل التفسير والمختصون في تتبع دلائل إعجاز القرآن الكريم أن ينطلقوا في دراساتهم من رواية حفص عن عاصم الأكثر انتشارا في العالم الإسلامي، ومنهم من اعتمد قراءة نافع كتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور. ولم تُخدم القراءات القرآنية الأخرى بالقدر الكافي فيما يتعلق بهذا العلم لاسيما أن كل قراءة قرآن منزل وهي في موضعها منه آية أو بعض آية. من هنا جاءت تلك الدراسة؛ لتسهم بجهد متواضع في هذا المجال فجمعت جملة مما انفرد فيه الحضرمي عن سائر القرّاء ودرست كل انفرادة في نظمها وسياقها وتحسست دلالتها على المعنى ما أمكن.

مشكلة الدراسة.

تناولت الدراسة بعض انفرادات الحضرمي فيما يتعلق بالأفعال من حيث زمنها ووزنها الصرفي وعلاقتها بالتركيب، وأثرها في بلاغة النظم.

أسئلة الدراسة.

- ما انفرادات القارئ يعقوب الحضرمي في الأفعال؟
- ما أثر تلك الانفرادات في بلاغة النظم؟

أهداف الدراسة.

- تسليط الضوء على أثر انفرادات قراءة يعقوب الحضرمي في بلاغة النظم.
- توضيح أن دلائل إعجاز القرآن تشمل كل آية فيه ضمن نظمها وسياقها، وتتعدى ذلك إلى ما تحويِ الآية من وجوه القراءة.
- تأسيس منهج للتأليف في دلائل إعجاز القراءات حسب كل قراءة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس.

منهجية الدراسة.

اتبعت الدراسة منهج الاستقراء للانفرادات، ودراسة ما أتيح منها مرتبطا بنظمه وسياقه ومحاولة تحسس ما أمكن من المعاني. وقد اعتمدت الدراسة على أمهات كتب التفسير وبعض كتب اللغة وما ألف في دلائل الإعجاز، إضافة المنهج التحليلي لأن الاستقرائي وحده لا يقيم الدراسة.

خطة الدراسة.

اشتملت الدراسة على مقدمة وخاتمة ومبحثين كل مبحث يندرج تحته عدد من المطالب:

المبحثُ الأول: مهّد للدراسة بنبذة مختصرة عن يعقوب الحضرمي وراوييه -رحمهم الله تعالى-.

المبحث الثاني: تناولت الدراسة بعض انفرادات الحضرمي فيما يتعلق بالأفعال من حيث زمنها ووزنها الصرفي وعلاقتها بالتركيب وأثرها في بلاغة النظم.

وختمت الدراسة ببعض النتائج والتوصيات التي يجدر بأهل العلم أن يتمثلوها في تتبع دلائل إعجاز القرآن الكريم.

والله أسأل، أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم مؤصلا لدراسات مستقبلية يكون لها الأثر في هداية العقول والقلوب إلى صراطِ الله المستقيم، إنه أهلُ ذلك والقادر عليه.

محددات الدراسة.

- استقراء انفرادات الحضرمي في الأفعال.
- توضيح الأثر البلاغي لتلك الانفرادات.
- إبراز العلاقة بين كل انفرادة مع نظمها وسياقها.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراســات المتعلقة بتعدد القراءات وأثرها في شــتى العلوم والميادين، كما تنوعت الدراســات المتعلقة في بلاغة النظم القرآني.

- كتاب أثر تعدد القراءات في بلاغة النظم القرآني، انشراح أنس سويد، إشراف نور الدين عتر، جامعة دمشق، 2015، تناول البحث أثر تنوع القراءات في تعدد المعاني، وتعدد دلالات القراءات وأثرها في بلاغة النظم، وتغاير إعراب القراءات وأثره في بلاغة النظم، ولم يتناول كل قراءة على حدة.
- الوجوه البلاغية في توجيه القرءات القرءانية المتواترة، إعداد: محمد الجمل، إشراف أ.د. فضل عباس، جامعة اليرموك، 2005، وقد اهتم الباحث بتوجيه القراءات القرءانية المتواترة بلاغياً، إلا أن دراســته كانت دراســة تحليلية تعتمد على جمع آراء المفســرين وتحليلها، وقد أغفل الباحث عدداً من الفنون البلاغية التي يدخلها تنوع القراءات، ومنها التعريف والتنكير، وبلاغة الالتفات.

أما هذه الدراســة فتعنى باســتقراء ما انفرد به القارئ يعقوب الحضــرمي في الأفعال وأثر تلك القراءات في بلاغة النظم؛ فهي دراسة استقرائية تحليلية حيث لا يوجد دراسة تخصصت في قراءة الحضرمي فضلاً عن انفراداته.

المبحث الأول:
التعريف بيعقوب الحضرمي وراوييه.

بادئ بدء لا بد من التعريف بصاحب القراءة وراوييه، ثم إيراد نبذة عن مختصرة عن أصول قراءته وما انفرد به في هذا المجال عن باقي القراء.

المطلب الأول: يعقوب الحضرمي وراوياه.

في هذا المطلب سيتم الحديث عن يعقوب الحضــرمي وراوييه أصــحاب تلك القراءة. يعقوب الحضــرمي هو: الإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق مولى الحضرميين. نشأ في البصرة، وتتلمذ لأعلام الإقراء، ومنهم: سـلام بن سـليم، وأبي الأشــهم العطاردي، وشــهاب بن شــرنقة، وغيرهم. كما أنه سـمع من: حمزة الزيات الكوفي، ومحمد بن زريق عن عاصم، والكسائي.

يلحظ أن الإمام يعقوب قرأ على أعلام الإقراء بالبصــرة والكوفة في زمانه ممّا أكســبه تبحراً في هذا العلم وبراعةً فيه، إضافة إلى ما برع فيه هذا الإمام -رحمه الله تعالى- من علم النحو وعلوم اللغة .

أما عن تلاميذه فهم خلقٌ كثير، من أشــهرهم: راوياه المعروفان محمد بن المتوكل المعروف برويس، وروح بن عبد المؤمن. كما يلحظ أن يعقوب يوافق أبا عمرو بن العلاء البصري في كثيرٍ من الأحيان فقد ورد أنه سمع حرفه في الإدغام الكبير عن سلام، وقد ذكر بعض العلماء أنه عاصر أبا عمرو ويمكن أن يكون قرأ عليه أو سمع منه والله تعالى أعلم. كان إمام أهل البصرة في زمانه، وكان تقياً ورعاً، وكانت قراءته تُقرأ في الصلوات في المساجد.

توفي -رحمه الله تعالى- عام خمسة ومئتين للهجرة بعد أن قضى حياته يَقْرَأُ ويُقْرِئ، وجند نفسه خادما لكتاب الله Y[1].

أما رويس فهو: محمد بن المتوكل، وهو تلميذ يعقوب، نقل عنه القراءة وأقرأ بها. شــهد له بالحذاقة والمهارة في مجاله. توفي سنة ثمانٍ وثلاثين ومئتين للهجرة على الأصح.

أما الراوي الثاني عن يعقوب فهو: روح بن عبد المؤمن أبو الحسـن الهذلي مولاهم البصـري النحوي. وهو مقرئ جليل ثقة، برع في النحو، ونقل القراءة عن يعقوب الحضرمي وغيره وأقرأ بها. توفي -رحمه الله تعالى- سنة خمس وثلاثين ومئتين للهجرة.

فكما أن يعقوب الحضرمي بصري فكذلك راوياه. ولا شك أن البصرةَ كانت مهداً لكثير من أهل الحديث والفقه واللغة وسائر العلوم مما أثر بشكل واضح على هذا الإمام ومن روى عنه.

المطلب الثاني: انفرادات يعقوب وراوييه في أصول القراءات.

إذا تأمل القارئ قراءة يعقوب وراوييه يلحظ أنه وافق أبا عمروٍ بن العلاء في كثير من أصوله، وكذا عدداً من القراء. وفي هذا المقام سيتم الاقتصار على ما انفرد به يعقوب الحضرمي أو أحد راوييه عن غيره من القرّاء. وتفصيل ذلك:

أولاً: ما يتعلق بالإدغام الكبير: انفرد يعقوب بإدغام التاء بالتاء وصـــلا في كلمة (تتمارى) في قوله تعالى: **[فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ]**[النجم: 55]. وانفرد رويس بإدغامها في كلمة (تتفكروا) في قوله تعالى: **[قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا]**[سبأ: 46].

ثانياً: ما يتعلق بهاء الكناية: انفرد يعقوب بضم هاء الكناية إذا جاءت بعد ياءٍ ساكنة فيما سوى الفرد. ويستثنى من ذلك كلمات: (عليهم، إليهم، لديهم) فإنّ حمزة وافقه فيها. وتفرد رويس عنه بضـــمها عند زوال الياء لعارض الجزم أو البناء فإن الفعل المضـارع معتل الآخر يجزم بحذف حرف العلة ويبنى على ذلك، مثل: (يخزهم، يلههم، قهم، يغنهم، فاستفتهم). ويستثنى من ذلك كلمة (يولهم) في قوله تعالى: **[وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَـــبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ]**[الأنفال: 16].

ثالثاً: فيما يتعلق بياءات الزوائد: انفرد يعقوب بإضـافة ياء على رؤوس الآي التي تنتهي بالدلالة على ياء المتكلم وصـلا ووقفا مثل: (فارهبون، فاتقون) وغيرها.

رابعاً: فيما يتعلق بالوقوف على مرسوم الخط: انفرد يعقوب بإضافة هاء سكتٍ على ما يلي:

أ- ضمير الغائب المفرد الذي يدل على مذكرٍ أو مؤنث (هو، هي) عند الوقف.
ب- ما انتهى بنون النسوة مثل: (فيهن، لهن).
ج- الضمير المتصل الدال على ياء متكلم: (علي، إلي).
د- انفرد رويس بالوقوف على هاء ســكت عند الوقف على الظرف (ثَمَّ)، وفي الكلمات المنتهية بألف الندبة (يا أســفىَ، يا ويلتىَ، يَا حَسْرَتَا).

ولا بد من التنويه إلى أن هذه الانفرادات متواترة النقل عن رسول الله ε والقراءةُ بها قرآن[2].

ولم تقف هذه الدراسـة على ما يشـفي الغليل ويروي العليل في توجيه الفرش لذا ستقتصـر بعون الله تعالى على الاجتهاد في بيان بلاغة النظم في الكلمات القرآنية التي انفرد بها هذا الإمامُ وراوياه رحمهم الله تعالى وأسكنهم فسيح جناته.

المبحث الثاني:
أثر بلاغة النظم في انفرادات الأفعال في قراءة الحضرمي.

قراءة يعقوب الحضـرمي -رحمه الله تعالى- حوت عدداً وافراً من الأفعال التي انفرد بها هذا القارئُ عن سائر القراء؛ فإمّا أن يكون قد انفرد عنهم في تصـريف الفعل فما قرأوه في الأمر قرأه في الماضـي وبالعكس، وما قرأوه بالمضـارع المرفوع قرأه بالمنصوب. وقد يكون الاختلاف في الوزن الصرفي للفعل، أو في دلالة الفعل على فاعله.

ومما لا شك فيه أن هذا التحول في الأفعال الذي انفردت به قراءة يعقوب بليغٌ في موقعه، ودليلٌ على إعجاز القرآن الكريم بما اشتمل عليه من وجوه القراءة.وسيتم في هذا المبحث توضيح بلاغة النظم فيما تيسر من تلك الأفعال.

المطلب الأول: انفرادات الحضرمي في الأفعال من حيث زمن الفعل وإعرابه.

الفعل في اللغة العربية يدل على التجدد والحدوث، ولا بد أن يرتبط بزمن لا سيما إن كان ماضيا أو مضارعا. وإن الفعل إذا تغير زمنه تغيرت دلالته على المعنى بناءً على تغير إعرابه فالإعراب فرع المعنى. ولا تفهم تلك الدلالة وتُتَذوقّ بلاغة التعبير إلا بدراســة التركيب والســياق، وهو ما يســميه أهل البلاغة: النظم، والذي عرفه الجرجاني في دلائل الإعجــاز

بأنه توخي معاني النحو. يقول الجرجاني -رحمه الله تعالى- في دلائل الإعجاز:

وقد علمنا بأن النظم ليس ســوى ... حكم من النحو نمضــي في توخيه
ونحن ما إن بثثنا الفكر ننظر في ... أحكــامــه ونروي في مــعــانيــه
كــانــت حــقــائــق تــلــقــى ... بــهــا وكــلا تــراه نــافــذاً فــيــه
فليس معرفــة من دون معرفــة ... في كل ما أنت من باب تســميه[3]

وبالتأمل في حال الأفعال التي انفرد بها الحضرمي، أو أحد راوييه يمكن دراستها على النحو التالي:

أولاً: التعبيرُ بالفعل الماضي وأثره في بلاغة النظم.

انفرد يعقوب بقراءة الفعل الأمر ماضيا في قوله تعالى في سورة المرسلات: **[انْطَلَقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ]** [المرسلات: 30]. انفردَ الحضرميُ بقراءة الفعل (انطَلِقوا) بصيغة الماضي، في حين قرأه الباقون بصيغة الأمر الطلبي الذي يدلُ على التوبيخ والتقريع؛ تبعاً للأمر الذي سبقه[4].

ويترتبُ على هذا الانفراد: تحول دلالة الجملة من الإنشاء الطلبي إلى الخبر فحينما أمروا بالانطلاق إلى ما كانوا به يكذبون انطَلَقوا إلى ظُلَلٍ من العذاب الذي طالما أنكروه وكذبوا من أرسل بالإنذار به. يقول تعالى واصفا حالهم في النار: **[لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ]**[الزمر: 16]. وإن في التعبير بالماضي تأكيد على تحقق وقوع وعيد الله لهم وحلول العذاب بهم.

ثانياً: التعبير بالفعل المضارع المنصوب منفردا عن سائر القراء الذين يقرأونه بالرفع وبالعكس:

يقول الله تعالى في سورة الشعراء على لسان موسى υ بعد أن طلب الله تعالى منه أن يأتي قوم فرعون لعلهم يتقون: **[قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقَ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقَ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ]**[الشعراء: 12-13].

(واختلفوا) في (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) فقرأ يعقوب بنصب القاف منهما وقرأ الباقون برفعها[5].

واختلف في "ويضيق صدري **ولا** ينطلق" فيعقوب بنصب القاف منه ما عطفا على يكذبون, والباقون بالرفع على الاستئناف".

لقد عبر موسى υ عن ثلاثة أمور تخيفه وتلقي في قلبه الوجل من مقابلة فرعون وقومه؛ خاف من التكذيب ومن ضيق الصدر، وعدم انطلاق اللسان. فالواو في هذه الآية عاطفة فكلمة (يضيقَ) منصوبة بأن وكذلك (ينطلقَ). وهذا يدل على حرص موسى υ وتحريه الدقة في الإبلاغ. فقد وصف ما عليه حاله فهو قاتل لاذ بالفرار، ومتكلم لا يفصح بلسان القوم لذا طلب من الله أن يجعل له وزيراً من أهله يكون له عونا في تنفيذ مهمته[6]. في حين أن قراءة الجمهور تصف حالة قد تعيق إبلاغ الرسالة؛ حيث إن موسى υ يفصح عن إدراكه للمفارقات بينه وبين فرعون وقومه؛ إذ يدعو الله أن يشرح صدره.

كما أنه انفرد برفع الفعل المضارع (ونبلو) الذي قرأه الباقون منصوبا وذلك في قوله تعالى: **[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]**[محمد: 31][7].

بمعنى نكشفها ونظهرها وذلك نظير قوله تعالى: **[يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ]**[الطارق: 9] أي: تكشف وتجلى[8]. الواو في الآية عاطفة، ولكنها حسب قراءة رويس عن يعقوب معطوفة على الفعل (ولنبلونكم) وهو فعل مضارع مبني على الفتح في محل رفع[9].

إن السياق يتحدث عن كشف سرائر المنافقين وتحايلهم على الدين ورسول الله ε وذلك بادعائهم الإيمان واستبطانهم الكفر، وإن الله Y يدل نبيه ε على وسائل كشف أولائكم بسيماهم وفي لحن قولهم، ثم ينتقل الخطاب إلى العموم فالله Y يرقب الجميع ويضعهم تحت اختباره، وسيكشف نتاج رقابته واختباره يوم تبلى السرائر والله تعالى أعلم.

ثالثاً: قراءة ما قرأه القارئ بالماضي للمعلوم أو المجهول بصيغة المضارع.

يقول الله تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأُمْلِى لَهُمْ]** [محمد: 25].

(واختلفوا) في (وأملي لهم) فقرأ البصريان بضم الهمزة وكسر اللام. وفتح الياء أبو عمرو وأسكنها يعقوب. وقرأ الباقون بفتح الهمزة واللام وقلب الياء ألفاً[10].

لا شك أن الردة بعد الهدى استجابةٌ لداعي الشيطان وتسويله لنفوس من ارتدوا أن يفعلوا تلك الفعلة، ومن رحمة الله Y بأولئكم أنه يمهل ولا يهمل، فلعل المرتد أن يتوب من غفلته وإلا يزداد إثما، ويحظى بالذل والهوان.

وعليه، يفهمُ نظمُ الآية ويكون التأويل: إن الذين ارتدوا بعد تبصرهم بالهدى ووعيهم لطريقه سول لهم الشيطان ذلك، وأن الله Y يتوعدهم بالإملاء أي الإمهال لهم. والواو هنا استئنافية وأملي فعل مضارع مرفوع فيه دلالة على تجدد الإملاء من الله مع تجدد الارتداد ممن كفر في كل زمان للحكمة التي سبق ذكرها، فإما أن يتوبوا وإما أن يزدادوا إثماً ويحظوا بالعذاب المهين.

وفي الآية التفات من الغائب إلى المتكلم بمعنى: الشيطان سول لهم وأنا (الله) أملي لهم. وفائدة الالتفات في الآية توضيح أن الله رقيب محيطٌ عالم لا تخفى عليه خافية مهما خفت تسويلات الشيطان ووسوساته، والله تعالى أعلم[11].

يتبين مما سبق أن لكل فعل دلالته حسب الزمن الذي ارتبط فيه، وحسب وروده بزمنه في سياقه ونظمه الآية. وإن تفرد يعقوب أو أحد راوييه في هذا الجانب يؤكد حقيقة لا تقبل الجدل، مفادها: أن كل قراءة هي وحي سماوي، وهي الأبلغ في مكانها وسياقها ونظمها، قد وقع فيها التحدي بوصفها جزءاً من آية ضمن سورة قرآنية.

المطلب الثاني: بلاغة النظم في انفرادات الحضرمي من حيث الوزن الصرفي للفعل.

في المطلب السابق نوقشت بلاغة النظم في الأفعال عند الحضرمي من حيث تصريف الفعل وزمنه وبنائه وإعرابه، وفي هذا المطلب سيتم دراسة انفرادات يعقوب الحضرمي -رحمه الله تعالى- التي تميزت عن سائر ما قرأ به القراء باختلاف وزنها الصرفي.

ويمكن تصنيف ذلك على النحو الآتي:

أولاً: أفعال مجردة ثلاثية اختلفت حركة عين مضارعها: ومثاله قوله تعالى في سورة التوبة: **[وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ]**[التوبة: 58]، و**[الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]**[التوبة: 79] فالفعل يلمزون ويلمزُك في الآيتين يقرأ عند الحضرمي بالميم المضمومة وعند باقي القراء بالميم المكسورة؛ وبالتالي فإن وزن الفعل يختلف، ولا بد لاختلاف ذلك الوزن من أثرٍ في المعنى يدرك بعلاقة الفعل بالتركيب والسياق.

قال المفسرون وأهل اللغة اللمز العيب، ولكنهم اختلفوا هل يكون بالإشارة أم بالعبارة[12]؟

إن قراءة الضم إذا كان اللمز بالعبارة تصور نبرة صوتهم وتبرّمهم وهم يعيبون رسول الله ε، ويطعنون بشخصه، ويتهمونه بالمحاباة في توزيع الصدقات، والتبرّم يكون بضمّ الشّفاه وعقد الحاجبين. وإذا كانت بالإشارة فإنّ قراءة ضم الميم واضحة الدّلالة على مشاعر الضغينة والغضب والاشمئزاز التي تنبعث من قسمات وجوههم وسيماهم وهم يعيبون بالإشارة. وإنّ السّياق والتركيب يعاضدان اللّفظ في رسم السورة فمثلاً: حينما قال الله تعالى: **[الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ]**[التوبة: 79] أكدت دلالة يسخرون في الآية ودلالة لا يجدون إلا جهدهم تلك المعاني، كل ذلك يعاضد يلمزون بالضم في رسم صورة المبخس المستهزئ الذامّ المتبرّم، والله تعالى أعلم.

ثانياً: أفعالٌ قرئت مزيدة وانفرد يعقوب بقراءتها مجردة.

ومثال ذلك قوله I: **[فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدْعُونَ]**[الملك: 27]، فقد انفرد يعقوب الحضرمي بتخفيف الدال في (تَدَّعون) فقرأها (تَدْعون) وثقلها الباقون.

يفهم من ذلك (أن الله تعالى لما يرهم العذاب قريبا يوم تقوم الساعة فينظرون إليه بأم أعينهم تكلح وجوههم وتبدوا عليها علامات الذل من هول المفاجأة، فيقول لهم هذا العذاب الذي كنتم تتحدون به أنبياءكم وتطلبونه بقولكم **[وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ]**[الأنفال:32])؛ فالدعاء فيه معنى الالتماس والطلب وطلبهم هذا يدل على مبلغ إنكارهم لوقوع العذاب، والله تعالى أعلم[13].

ثالثاً: أفعال مجردة زيدت بالألف.

إن زيادة الفعل بالألف في وسطه تفيد المشاركة والمفاعلة نقول قتل وقاتل لبيان أن القتال حصل بين فريقين أو شخصين. وقد انفرد يعقوب الحضرمي بزيادة ألف على الفعل الثلاثي (عامر). يقول الله تبارك وتعالى: **[وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا]**[الإسراء: 16]؛ تتحدث الآية الكريمة عن سبب إهلاك القرى وهو أن الله يأمر أهلها بالصلاح وبما فيه استقامة حياتهم إلا أنهم يقابلون ذلك بالصدود والعصيان والفسق، والذي يتولى ذلك أولئك المترفون البطرون المتكبرون من علية القوم فعلى قراءة يعقوب الحضرمي يكون المعنى أحد أمرين:

أ- زيادة الألف تفيد التكثير بمعنى أن الأدلة الدامغة على الحق تجتمع نصب أعينهم وتتضح مفاهيمها لديهم إلا أنهم يقابلونها بالفسوق، ففي زيادة الألف معنى التكثير.

ب- أن تكون (آمر) تؤدي معنى المفاعلة والمشاركة، أي: إن المترفين أمر بعضهم بعضا بالفسوق؛ ردا على أمر الله لهم بالامتثال. فلفظة آمر تدل على التحريض الذي يستشف من وزن فاعل[14].

وقد يخطر ببال سائل أن يسأل: لماذا نسب الفعل إلى الله Y بضمير المتكلم مع أن المتآمرين فعلوا ذلك بمحض اختيارهم للمخالفة؟ فكيف يأمرُهُمْ ويعذبهم؟!

والجواب: إن كل شيء داخل تحت إطار العلم الإلهي فلا يعزب عن علمه مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، وإن ذلك التآمر الذي يفسر مقابلة أمر الله بالصدود والتحالف بين علية القوم من أهل الكفر يعلمه الله ويكشفه.

وعليه، يكون المعنى حسب قراءة يعقوب الحضرمي: إذا أراد الله أن يهلك قريةً لم يهلكها إلا بعد أن يرسل إليها رسولا يوضح أمر الله Y، ويرقب ماذا يفعل القوم، فلا يكون من أهل الباطل إلا أن يحاربوا الحق بترفهم وفسوقهم ويرصوا صفوفهم ويحشدوا عددهم وعدّتهم ويمكروا لمحاربة الدعوة فيحق الهلاك عليهم. فهو فعل الله باعتبار العلم والتقدير العام، وفعل الخلق باعتبار اختيار طرق الضلال والمكر للحق وأهله[15].

رابعاً: أفعال مجردة زيدت بالتضعيف والألف.

إن زيادة الأفعال بالتضعيف تفيد التكثير والمبالغة، وزيادتها بالألف تفيد المشاركة بين طرفين، وزيادتهما معا تفيد التكثير والمشاركة.

انفرد يعقوب الحضرمي بقراءة يسّاءلون في قوله تعالى: **[يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا]**[الأحزاب: 20]؛ فقد قرأها يعقوب بالفعل المزيد بالتضعيف والألف (يسّاءلون) وقرأها الباقون بالفعل الثلاثي يسألون مضارع سأل[16].

إن سياق الآيات يتحدث عن موقف المنافقين في سورة الأحزاب فهم يثبطون الناس، ويخلخلون الصفوف، وإذا داهمهم الخطر قواهم الخوف فإذا ذهب الخوف وأصبح المسلمون في موقف قوة ينتشر أولئك المنافقون في الأرض يتحسسون أخبار من آمن وجاهد مبدين حرصهم على القتال وعدم قدرتهم عليه. ففي قراءة التشديد والمد إبراز لحرص المنافقين والذين في

قلوبهم مرض على إظهار حسن النوايا، بتمثيل الحرص، وفي الفعل يساءلون دلالةٌ على أن المنافقين يبذلون وسعهم في السؤال عن المسلمين لا حرصا منهم على أمنهم، ولكن رغبة في عدم خسارتهم بانكشاف أمرهم فالفعل يساءلون فيه دلالة على الاستقصاء والبحث والتقصد لذلك السؤال. وفي ذلك إبراز لنفاق المنافقين وتلبسهم الحالة التي عليها من ينافقون لهم حفاظاً على مصلحتهم وحظوتهم عندهم؛ فمصلحتهم همهم حيث دارت يدورون(17).

وهناك أفعال ثلاثية زيدت عند يعقوب بالتشديد والتاء وذلك في قوله تعالى في سورة الجن: **[وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا]**[الجن: 5]؛ أي تتقول زيد الفعل بالتاء والتضعيف، وهو مضارع الفعل تقول. ويقرؤها الباقون (تقول) مضارع قالت. كان على الباحث أن يقول: قرأ يعقوب وحده (تَقَوَّلَ) بفتح القاف وتشديد الواو على (تَفَعَّلَ) وقرأ الباقون (تَقُوْلَ) بضم القاف وإسكان الواو.

والفرق بين القول والتقول أن التقول فيه معنى الاختلاق وإلصاق الأكاذيب والتهم فيما يحكى عنه. ومعنى الآية: أنا ظننا أن الإنس والجن لن تختلق على الله الكذب، وتنسب إليه ما لا يليق.

خامساً: أفعال مزيدة اختلف وزنها الصرفي.

هناك أفعال وردت مزيدة في القراءات القرآنية إلا أن يعقوب الحضرمي انفرد عنهم بما زاده على الثلاثي منها فما زيد بالهمز عندهم زيد بالتّضعيف عنده ومثال ذلك قوله تعالى: **[تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا]** [مريم: 63]؛ **(وَاخْتَلَفُوا) فِي:** نُورِثُ **فَرَوَى رُوَيْسٌ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْإِسْكَانِ وَالتَّخْفِيفِ،** فقد زيدت كلمة (نُوَرِّث) عند يعقوب بالتضعيف وزيدت عند غيره بالهمز(18).

هناك أفعال مزيدة في أصل قراءتها زيدت عند يعقوب بالتاء وبقيت رباعية مضعّفة عند غيره ومثاله قوله تعالى في مطلع سورة الحجرات: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]**[الحجرات: 1]، قرأها يعقوب (لا تَقَدَّموا بين يدي) بفتح التاء والقاف وتشديد الدال وفتحها، في حين قرأ الجمهور تُقدّموا بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال وكسوها؛ فالفعل تُقدّموا مضارع الفعل قدّم والفعل تَقَدّموا مضارع الفعل تَقَدّم والاصل تتقدموا ادغم التاء بالتاء. وهناك أفعال زيدت بالتاء في بدايتها والألف في وسطها وانفرد رويس عن يعقوب بقراءة التاء عوضا عن الألف في وسط الكلمة، ومثاله: قوله تعالى في سورة المجادلة: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ]**[المجادلة: 9]؛ فالفعل تتناجوا مضارع الفعل تناجى والفعل تنتجوا مضارع الفعل انتجى(19).

واختلف في "فَلَا تَتَنَاجَوْا" [الآية: 9] فرويس "تنتجوا" بوزن تنتهوا كذلك، والباقون تتناجوا بتاءين خفيفتين ونون وألف وجيم مفتوحة.

كما انفرد يعقوب بزيادة الفعل الثلاثي بالهمز وزاده غيره بالتضعيف ومثاله في سورة الأنعام **[قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ]**[الأنعام: 63]؛ فالفعل ينجّيكم مضارع الفعل نجّى والفعل ينجيكم مضارع الفعل أنجى.

وسيتم الاقتصار في هذا الباب على مثالين، وهما:

أولاً: قوله تعالى في سورة المجادلة: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ]**[المجادلة: 9]. قرأ رويس عن يعقوب تنتجوا وهو مضارع الفعل انتجى، وقرأه الباقون تتناجَوْا مضارع الفعل تناجى بالهمز(20).

يتحدث سياق الآيات عن علم الله المحيط في كل شيء، وناسب ذلك الحديث أيضا عن قيام مجموعةٍ من المنافقين بالتناجي أمام رسول الله ε ومن آمن حيث كان ذلك يؤذي النبي ε وأهل الإيمان، فنزلت الآيات تبين أن ما يتناجى فيه أولئك المنافقون هو إثم وعدوان ومعصية، ونهاهم عن ذلك، وبين أن الله يعلم النجوى ويحاسب عليها(21).

ثانياً: قوله تعالى في مطلع سـورة الحجرات **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]**[الحجرات: 1]، انفرد يعقوب بقراءة الفعل مزيدا بالتاء المفتوحة مع فتح الدال، وقرأه الباقون رباعيا مكسورة داله؛ فالفعل تَقدموا مضارع الفعل تَقدم والفعل تُقدموا مضارع الفعل قدم وعليه يكون المعنى وفق قراءة الحضرمي: يا أيها الذين آمنوا لا تتقدموا أمام الله ورسوله بمعنى لا تمشوا أمامه، فهو قائدكم ولا تقدموا رأيكم على رأيه فإنه صادرٌ عن وحيٍ يوحى إليه به من عند الله. كما يفهم من قراءة الحضرمي أن التقدم المنهي عنه بين يدي النبي -عليه الصلاة والسلام- يمكن أن يكون قوليا بالإدلاء بالآراء بين يدي رأيه مما فيه نص، وإما أن يكون فعليا بحركات الجسد والمشي وغير ذلك، وفي المحصلة فإن قراءة الحضرمي جمعت الاحتمالين المفهومين من الآية. يقول ابن عطية: (لا تَقَدّموا لا تمشوا بَيْنَ يَدَيِ رسول الله، وكذلك بين يدي العلماء فإنهم ورثة الأنبياء. وتقول العرب: تقدمت في كذا وكذا وقدمت فيه: إذا قلت فيه)[22].

إن هذه الآية تتناسب مع سياق السورة؛ فهي سورة الأخلاق والسلوك، سورة الأدب والتربية. ومما يجدر بنا إذ نقرأ هذه السورة أن نتحرى أعلى وأرقى منازل الأخلاق في التعامل معهم والتواضع لهم الأنبياء وورثتهم من العلماء فهذه الآية وفق قراءة الإمام يعقوب تربي النفس على تمثل الخلق قولا وفعلا وسلوكا.

وتخلصُ الدراسة إلى نتيجة مفادها: أن أي تغيرٍ في ميزان الفعل الصرفي بزيادة أو تجريد أو تغير في طبيعة الزيادة يؤثر لا محالة في دلالة الفعل على المعنى المراد والذي يفهم من التأمل في نظم ذلك الفعل وسياقه. وهذا هو الإعجاز بعينه.

المطلب الثالث: انفرادات الحضرمي من حيث العلائق التركيبية.

فيما سبق جرى الحديث عن الفعل بحد ذاته من حيث زمنه ووزنه ودلالته على المعنى، وفي هذا القسم من البحث سيتم الحديث -بعون الله تعالى- عن علاقة الفعل بالتركيب فلا بد للفعل من فاعل أو نائب فاعل. وقد يتصل الفعل بزوائد لا محل لها من الإعراب وتؤثر في معناه، مثل: نون التوكيد الثقيلة والخفيفة، وتاء التأنيث، وحروف المضارع، وغير ذلك.

وإن القراءات القرآنية حوت حظّا وافرا من التبادلات القرائية التي تثري النظم وتؤثر في المعنى لا محالة.

وقبل التفصيل فيما انفرد به الحضرمي في هذا الشأن لا بد من الإشارة إلى أن علاقة الفعل بالتركيب -لا سيما الفاعل- ونائبه تسمى عند البلاغيين العلاقة الإسنادية فالفعل مسند والفاعل مسند إليه، وكذا نائبه إذ هو يقوم مقام الفاعل عندما يبنى للمجهول[23].

ويمكن تصنيف العلائق التركيبية في انفراد الحضرمي بما يلي:

أولاً: من حيث دلالة الفعل على فاعله سمي أو لم يسمَّ:

لا بد للفعل من فاعل أو ما يقوم مقامه فإذا كان الفاعل مسمى كان الفعل مبنياً للمعلوم، وإن لم يسمَ الفاعل وقام مقامه المفعول به كان الفعل مبنياً للمجهول[24].

وقد انفرد الحضرمي عن سائر القراء بقراءة بعض الأفعال المبنية للمعلوم بصيغة المبني للمجهول وبالعكس. ومن أمثلة ذلك:

1) قراءة ما سمي فاعله عند غيره بصيغة ما لم يسمَّ: ومثاله قوله تعالى في سورة الأنبياء عن ذي النون يونس υ: **[وَذَا النُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]**[الأنبياء: 87]، انفرد الحضرمي بقراءة الفعل (نقدر) بصيغة المبني للمجهول (يُقدَر)، وقد قرأها الباقون بصيغة المبني للمعلوم (نقدر) بنسبة القدرة إلى الله نسبةً مباشرة.

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن أنبياء الله، وقد اختصت السورة بالحديث عن العلاقة الخاصة التي تربط أولئك الأنبياء بالله Y علاقة الاخبات والتذلل والدعاء والتوبةِ والإنابة.

وفي هذه الآية يشير القرآن إلى ذي النون يونس υ الذي ذهب مغاضبا حين أزعجه القوم بإصرارهم على التكذيب والعناد. يقول الله تعالى: **[وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ]**[الصافات: 139-142]. فحينما ركب يونس υ في الفلك المشحون بعد أن كان من الذين وقع عليهم الحكم

بمغادرة الفلك -إثر استهامه- ظن بالله خيراً فهو خالقه ولن يضيّقَ عليه أو يقضي عليه بهلاك[25]، إلا أن هذا الظن لم يصل إلى درجة اليقين لا لأن يونس υ غير واثق بالله إنما كان ذلك لما حاك في نفســه من شــعورٍ بأنه قد يكون تســرع في ترك قومه وأغضب الله Y نتيجة لذلك. وهذا من شفافية نبي الله υ ونفسه اللوامة التي تتوق إلى رضى الله وتتحسس من مخالفته. فكانت النتيجة أن التقمه الحوت وهو مليم.

إن في قراءة البناء للمجهول توضيحٌ لما في نفس يونس υ الرقراقة الشفافة إذ لم يفصح عن الفاعل لبيان حياء ذي النون υ من الله Y ولومه لنفســه لما فعل، ومع ذلك فهو لا يظنُ بخالقه ورازقه وراحمه إلا خيرا، فلن يقدر عليه أي لن يضيق عليه المكان ولن يُقدَر عليه الهلاك، والله تعالى أعلم.

ومن أمثلة انفرادهِ عن القراء بما ســمي فاعله قوله تعالى في ســورة طه مخاطبا نبينا محمداً ε: **[فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقْضــيَ إِلَيْكَ وَحْيُه وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا]**[طه: 114]؛ فقد قرأها بالبناء للمعلوم (نَقْضِــي) والفاعل ضــمير مســتتر تقديره نحن يعود على الله Y، ووحيه مفعول به منصــوب وعلامة نصــبه الفتحة؛ وقد حذف الفاعل لتعظيم شأن الموحي وقد دل عليه السياق. أما الباقون فقد قرأوا (يُقْضى) بصيغة المبني للمجهول، ووحيه نائب فاعل مرفوع.

كان رسول الله ε يستعجل بقراءة القرآن لتثبيته في نفسه، ويحرك به لسانه حتى لا يتفلت، فنزلت الآية الكريمة لتطمئن قلبه الشريف بأن الله كفيل بأن يثبته في قلبه، ويقضي إليه وحيه[26]. ومعنى القضاء: الإتمام والإبرام، (وَمَعْنَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ أَيْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ وَحْيُ مَا قُضِيَ وَحْيُهُ إِلَيْكَ، أَيْ مَا نُفِّذَ إِنْزَالُهُ فَإِنَّهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ. فَالْمَنْهِيُّ عَنْهُ هُوَ سُؤَالُ التَّعْجِيلِ أَوِ الرَّغْبَةُ الشَّدِيدَةُ فِي النَّفْسِ الَّتِي تُشْبِهُ الِاسْتِبْطَاءَ لَا مُطْلَقُ مَوَدَّةِ الِازْدِيَادِ)[27].

قال بعض المفسـرين: إن الآيات حينما كانت تتنزل على الرسـول ε بما يصـلح به شـأن القوم كان رسـول الله ε يطلب المزيد حرصـا منه على أن يصـل قومه إلى أعلى درجات الصـلاح والالتزام بأمر الله إذ هو بينهم، يعاني ما يعاني من جحودهم وعنادهم، ويتحرق قلبه شوقا لإصـلاح فسـادهم، فطمأنه الله في الآية الكريمة، ونهاه عن الاستعجال بنزول ما يصـلح القوم فإن الله خالقهم يدبر أمرهم ويعلم كيف يصلحهم، فلا تعجل يا نبي الله وقرّ عينا، واطلب زيادة العلم وانتظر أن يقضـي الله إليك وحيَ آيات يكمل بها الدين، وتتم النعمة، ويدخل الناس في دين الله أفواجا[28].

وإن في قراءة البناء للمعلوم نسبةُ قضاء الوحي لله Y نسبةً مباشرة وفي ذلك مزيد تطمين وتسرية لقلب نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

ثانياً من حيث دلالة الفعل على مضمر فاعله.

قد يكون فاعلُ الفعلِ اســما ظاهرا، وقد يكون ضــميراً متصــلا أو مســتتراً فالفعل يدل على فاعله دلالة الخطاب، أو الغيبة، أو صـيغة التكلم، وتظهر تلك الدلالة بتأمل الصـلة بين الفعل وفاعله وهي ما يسـميه البلاغيون علاقة الإسـناد إذ لا بد من أغراضٍ بلاغية متعلقة بمعنى يراد إبرازه يتجلى بإدراك تلك الصلة .

وقد انفرد الحضرمي بما يدل على الإخبار فيما قرأه الباقون بالغيبة، وما يدل على الخطاب فيما قرأه الباقون بالغيبة، وما يدل على الغيبة فيما قرأه الباقون بالإخبار أو الخطاب .

ومن أمثلة ذلك:

أ- دلالة الفعل على الغيبة وقراءة غيره له بالإخبار وبالعكس:

انفرد يعقوب الحضرمي عن غيره في بعض المواقع حيث قرأ بالإخبار ما قرأه غيره بالغيبة، وقرأ بالغيبة ما قرأه غيره بالإخبار. ولا شك أن الغيبة والإخبار يسهمان في توضيح علاقة الفعل بفاعله أو نائب فاعله.

ومثال ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: **[آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ]**[البقرة: 285]. انفرد يعقوب بقراءة الفعل (يفرقُ) دالا على الفاعل وهو المؤمنون، وقرأها الباقون بالفعل الدال على فاعله دلالة التكلم نفرّق.

وعليه يكون تأويل قراءة الحضرمي: إن الله شهد أن لا أحدَ من المؤمنين الذين صدقوا في إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله يفرق بين أحدٍ من الرسل -عليهم السلام-. وناسب ذلك ما ذكره الله Y في بداية الآية حين شهد لرسول الله ε بالإيمان بدلالة الغيب (آمَنَ الرَّسُولُ) وإن في شهادة الله لهؤلاء تكريما وتشريفا وإعلاءً لشأنهم. فهنيئا لمن شهد الله له بالخير، وطوبى لمن انضوى تحت راية أولئك المؤمنين. ثم يلتفت السياق من الحكاية عنهم إلى الحكاية على لسانهم (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)[29].

ب- انفراده بما يدل على الخطاب وقراءة الباقين له دالا على الغيبة:

يقول الله تعالى في سورة يونس **[قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ]**[يونس: 58] انفرد الحضرمي بقراءة الفعلين المضارع ينفي الآية الكريمة بتاء الخطاب (تفرحوا، تجمعون)[30] في حين قرأها الباقون بالفعلين دالين على الغيبة (يفرحوا، يجمعون)[31] إن قراءة الخطاب تتناسب وسياق الآية الكريمة ففي الآية التي سبقتها يقول الله تعالى مخاطبا الناس **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ]**[يونس: 57] وفي الآية التي تليها يقول الله تعالى: **[قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ]**[يونس: 59] وإن في قراءة الخطاب توجيه لأولئك الغارقين في متاع الدنيا الذين يجمعون ويوعون من عرضها الزائل، من الخير لكم أيها الناس أن تفرحوا بفضل الله ورحمته بأن أنزل إليكم موعظة وشفاءً لما في صدوركم وهدى ورحمة، فآمنوا به وأذعنوا واستجيبوا ليطالكم الخير الباق الذي لا ينفد. وتوجيه القراءة الأخرى؟؟

ج- انفراده بما يدل على الأخبار مع قراءة الباقين له بالغيبة:

يقول الله تعالى في سورة التغابن **[يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ]**[التغابن: 9] انفرد الحضرمي بقراءة (نجمعكم) على صيغة التكلم بنون العظمة ونسبة الفعل إلى الله Y، وقد قرأها الباقون بياء الغيبة (يجمعكم) الْمَصِيرُ)[32].

تتحدث سورة التغابن عن توحيد الله Y وتعظيمه وتنزيهه، وذكر امتنانه على خَلْقِهِ بحسن الخَلْق والتصوير، وبيان أن مصيرهم بيده ويكون وفق استجابتهم لرسالة السماء، فمنهم كافر ومنهم مؤمن.

إن القراءة بنون العظمة يفهم منها أن الله يخبر عباده مباشرة بجمعهم لذلك اليوم الذي يتبين فيه غبن كل إنسان لنفسه فالكافر قد غبنها بجحوده وإنكاره وعناده، والمؤمن قد غبنها بغفلته وتقصيره أحيانا. إن في قراءة الإخبار استفزازا للنفس، وتوجيها لها بأن تستجيب للعظيم وتلبي نداه بالإيمان به وبرسوله والنور الذي أنزل، وتستعد لقرار الجمع الرباني

برصيدٍ وافرٍ من صالحِ العمل وخالصِ النية، فالمتكلمُ هو الله، وصاحب القرار هو –سبحانه- يخبر الناس مباشرةً عن قراره، يجلي بذلكَ العظمةَ والجلال عسى أن تصغيَ القلوب وتستجيب.

ثالثاً: انفراد الحضرمي بتأنيث ما ذكّره الباقون:

إن دلالة الفعل على التأنيث تفهم من اتصال الفعل بتاء التأنيث وبفاعلٍ مؤنث. وقد انفرد الحضرميُ بقراءة بعض الأفعال بصيغة التأنيث بما يتناسب مع دلالة الفاعل على المؤنث ومثال ذلكَ قوله تعالى في سورة النحل: **[يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ]**[النحل: 2].

انفرد يعقوب الحضرمي بقراءة (تَنزّل) بالفعل المضارع المبدوء بتاءِ التأنيث والملائكةُ فاعل يعامل معاملة المؤنث المجازي، وقد قرأها الباقون بالفعل المضارع الدال على التذكير المبدوء بياء المذكر الغائب والفاعل ضمير يعود على الله Y، والملائكة مفعول به منصوب(33).

يلحظ من قراءة الحضرمي بالتأنيث إسناد التنزلّ بالروح إلى الملائكة فهي التي تقوم بتلك الوظيفة بأمر من الله Y، وفي ذلك ردٌ على منكري وجود الملائكة فهم عبادٌ خلقهم الله ليقوموا بأمره، وشرفهم بحمل وحي السماء إلى الأرض. وقد تناسبت القراءةُ مع سياق الآيات التي تبين إتيان أمر الله فكيف كان ذلك الاتيان؟ لقد كان بتنزل الملائكةِ بالروح استجابةً لأمر الله. ويدل على ذلك (من أمره) أي انطلاقاً من أمره، والله تعالى أعلم؛ وإن في التعبير ب(من أمره) دلالة على أن الملائكة تتنزل انطلاقاً من أمر الله.

رابعاً: انفراد الحضرمي بالتعبير بالفعل فيما قرأه الباقون بالاسم:

ومثاله قوله تعالى في سورة الأحقاف: **[أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]**[الأحقاف: 33] وذلك بصيغة الفعل المضارع (يقدرُ) وقد قرأ الباقون (بقادرٍ) بصيغة اسم الفاعل(34).

اكتفى أهل التفسير بذكر الفرق في الدلالة النحوية بين قراءتي الاسم والفعل فكلمة قادر اسم فاعل ويقدر فعل مضارع.

وبالتأمل في قراءة يعقوب الحضرمي يلحظُ أن الدلالة على صفات الله Y بالفعل المضارع يفيد استحضار الصورة وعليه يكون المعنى: ألم يعلم أولئك المنكرون للبعث ويحضر في أذهانهم أن الله Y يقدر على إحياء الموتى؟ ويأتي الجواب بالجملة الاسمية التي تفيد ثبوت تلك الصفة في حق الله تعالى: (بلى إنه على كل شيءٍ قدير). وإن في استحضار الصورة المفهومة من الفعل المضارع استمالة لقلوب أولئك المنكرين، وتوجيها لعقولهم لتتفكر وتعقل.

إن ما سبق ذكره من الأفعال التي انفرد بها الحضرمي انسجاما مع السياقِ والنظم يوحي إلى العقل السليم أن تفكرُ وإلى القلبِ الشفاف السليم أن أخبت وأذعن وتأثر؛ فالقرآن الكريم بقراءاته المختلفة والتي تحوي أفعالا ذات دلالات مختلفة على المعاني لا يترك مجالا لمعاند؛ فها هو يستميلُ القلوب ويقنع العقول بأساليب لا يملك الإدراك أمامها إلا أن يقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

الخاتمة.

تحدثت الدراسة عن بعض انفرادات يعقوب الحضرمي في وجوه قراءة كلمات من القرآن الكريم وربط تلك الانفرادات مع تركيب الآية وسياقها الذي وردت فيه، وتبقى هذه الدراسة قاصرة عن بلوغ المرام لكنها حامت حول حماه ما استطاعت إليه سبيلا، ومن أهم ما خلصت إليه من نتائج:

1- لا شك أن دلائل إعجاز القرآن الكريم والتي تتجلى من خلال النظم كما يرى الجرجاني -رحمه الله تعالى- تنطلق من الكلمة إلى الجملة إلى التركيب إلى السياق فالقراءة كلمة تنطلقُ منها دراسة النظم.
2- إن لكل فعل دلالته حسب الزمن الذي ارتبط فيه، وحسب وروده بزمنه في سياقه ونظمه الآية. وإن تفرد يعقوب أو أحد راوييه في هذا الجانب يؤكد حقيقة لا تقبل الجدل، مفادها: أن كل قراءة هي وحي سماوي، وهي الأبلغ في مكانها وسياقها ونظمها، قد وقع فيها التحدي بوصفها جزءاً من آية ضمن سورة قرآنية.
3- إن قراءة الحضرمي غنية بالتنوع في انفراداتها، خاصة في الأفعال من حيث زمن الفعل وإعرابه، والوزن الصرفي، ومن حيث العلائق التركيبية؛ فهي مجال خصب للدراسة وكذا سائر القراءات.

4- إن أي تغيرٍ في ميزان الفعل الصـــرفي بزيادة أو تجريد أو تغير في طبيعة الزيادة يؤثر لا محالة في دلالة الفعل على المعنى المراد والذي يفهم من التأمل في نظم ذلك الفعل وسياقه. وهذا هو الإعجاز بعينه.

5- انفراد يعقوب الحضرمي عن غيره في بعض المواقع حيث قرأ بالإخبار ما قرأه غيره بالغيبة، وقرأ بالغيبة ما قرأه غيره بالإخبار. ولا شك أن الغيبة والإخبار يسهمان في توضيح علاقة الفعل بفاعله أو نائب فاعله.

والحمد لله رب العالمين.

التوصيات:

- إيلاء أهمية للقراءات القرآنية في مواقعها والتأليف فيها فهي مجال غني للبحث والدراسة.
- دراسة أثر انفرادات كل قراءة في النظم على حدة.
- ربط مدلولات القراءات ضـــمن نظمها وســـياقها في الواقع المعيش؛ ليتمكن أهلُ القرآن من التربي والتربية على منهج الله القويم؛ انطلاقاً من كل ما أنزل.

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد ε وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش.

(1) ينظر: الذهبي (ت 698هـ)، الإمام شمس الدين: أبو عبد الله بن أحمد بن عثمان الذهبي، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، الدكتور طيار قولاج، ج1، ص130 و131. وينظر: ابن الجزري (ت 833هـ)، شمس الدين أبو الخير، **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية، (ط1)، 1351هـ، ج2، ص386 و387.
(2) ينظر: ضمرة: توفيق إبراهيم ضمرة **تنوير القلوب في قراءة يعقوب**، (ط1)، 2007م، ص13 الى 24.
(3) الجرجاني (ت 471هـ)، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، (ط3)، 1413هـ/1992م، ج1, ص10.
(4) ابن الجزري (ت 833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي الضباع، دار الكتب العلمية، ج2، ص397.
(5) ابن الجزري، **النشر**، ج2، ص375.
(6) ينظر: أبو السعود (ت 982هـ)، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج6، ص236.
(7) ابن الجزري، **النشر**، ج2، ص414.
(8) ينظر: الطبري (ت 310هـ)، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن (تحقيق: أحمد شاكر)**، ج24، ص358.
(9) ينظر، الثعلبي (ت 875هـ)، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (ط1)، 1422هـ/2002 م، ج9، ص38.
(10) ابن الجزري، **النشر**، ج2، ص414.
(11) ابن عطية (ت 541هـ)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط1)، 1422هـ، ج5, ص106. وينظر: ابن عاشور (ت 1327هـ), محمد الطاهر, **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب** المجيد , الدار التونسية للنشر, تونس, 1404هـ, ج26, ص72.
(12) ينظر: الأصفهاني (ت 356هـ)، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، **المفردات في غريب القرآن**، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، (ط1)، 1412هـ، ج1، ص747. وابن منظور (ت 711هـ)، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (ط3)، 1414هـ، ج5، ص406.
(13) ينظر: الأخفش الأوسط (ت 215هـ)، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، **معاني القرآن**، الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط1)، 1411هـ/1990م، ج2، ص564. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص49-50.
(14) ينظر: الرازي (ت 606هـ)، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، (ط3)، 1420ه، ج20، ص315.
(15) الفراء (ت 207هـ)، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، **معاني القرآن**، أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، (ط1)، ج1، ص 469.
(16) ابن الجزري، **النشر**، ج2، ص247.
(17) الدمياطيّ (ت 705هـ)، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، (ط1)، 2006م/1427هـ، ج2، ص392.
(18) ابن الجزري، **النشر**، ج21، ص385.
(19) الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر**، ج1، ص536.
(20) ابن الجزري، **النشر**، ج1، 378.
(21) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج28، ص33.
(22) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص144.
(23) ينظر: القزويني (ت 623هـ)، محمد بن عبد الرحمن، **الايضاح في علوم البلاغة**، شرح وتحقيق: الخفاجي، محمد بن عبد المنعم، ج1، ص65.
(24) ينظر: ابن جني (ت 392هـ), عثمان, **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار, عالم الكتب, بيروت, ج1, ص110.
(25) ينظر: الأزهري (ت 370هـ) **معاني القراءات**، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1412هـ، ج2، ص168. السمين الحلبي، **الدر المصون**، ج8، ص109.
(26) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج24، ص67.
(27) ابن عاشور, **التحرير والتنوير**، ج16, ص316.
(28) ابن عاشور, **التحرير والتنوير**، ج16, ص317.

(29) الرازي، ج7، ص112.
(30) ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج1، ص469. والاخفش، **معاني القرآن**، ج1، ص375.
(31) ابن الجزري، **النشر**، ج2، ص285.
(32) الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر**، ج1، ص545.
(33) ينظر: الازهري أبو منصور، **معاني القراءات**، ج2، ص75.
(34) ابن الجزري، **النشر**، ج2، ص373.